ملخص داخلة

الهوية من خلال بعض مدونات الثورة 1954-1962

أد. إسماعيل سامعي

في البداية من الضروري التعريف بالموضوع بشكل موجز. فالهوية طريقة يعرف بها الإنسان ذاته، والآخرين، ومحيطه، والانتماء يعد نقطة البداية لنمو فكرة الهوية، ولفظة هوية مرتبطة أساسا بالضمير الذي يعبر عن مجموعة من الأخلاقيات التي تسيطر وتتحكم في أعمال الشخص وأفكاره.

والهوية أنواع كالهوية الدينية، والقومية أو الوطنية باعتبارها أساس العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، والاختيارات الفردية.

والهوية موضوع تاريخي محض، ورغم قدمها قدم نشأة الإنسان نفسه، غير أن ظهورها في الواقع وكمصطلح يعود إلى عصر الأنوار في أوروبا مع ظهور القومية، وبدء انتقالها إلى البلاد العربية والإسلامية مع بداية الغزو الاستدماري خلال القرن 19 م بداية من المشرق.

وفي الجزائر بعد تفكيك المجتمع المركب من القبائل حاول الاستدمار الفرنسي زرع فكرة القومية والوطنية باعتماد فكرة الهوية لاسيما في تشجيع فكرة البربرية، وتقسيم المجتمع إلى هويات حسب الجهات واللهجات.

وكانت مقاومة هذا التوجه على المستوى النظري والعملي بالتمسك بتعاليم الإسلام وتقاليد المجتمع، وكان لجهود أعلام الجزائر دور فاعل مثل ما قام به حمدان بن عثمان خوجة من خلال عمله العلمي التاريخي " المرآة "، ويرى البعض أن لزيارة محمد عبده للجزائر في بداية القرن العشرين دور في بعث النهضة والوطنية في الجزائر، رغم ما يدعيه بعض الكتاب الاستدماريين من أن الوطنية بدأت بعد الحرب العالمية الأولى.

وقد حاول الساسة الاستداريون وكتابهم إنكار الهوية بإنكار وجود دولة جزائرية قبل عام 1830، فهذا غي مولي رئيس الوزراء يصرح بعد 3 سنوات من الثورة في خطاب له يوم 9 جانفي 1957 م:" إن فرنسا عندما دخلت الجزائر لم تجد شيئا اسمه الجزائر، وإنما وجدت مجموعة من الممالك الصغيرة، والجمهوريات المبعثرة بين القبائل والعرب" وقد عقبت على التصريح - الذي ردده الرئيس الفرنسي ما كرون منذ سنتين! – جريدة المجاهد إبان الثورة في عدده الثاني يوم 28 جانفي 1957 فقالت: " ... إذن ما هو الشيء الذي وجدته عندما غزت فرنسا الجزائر ؟ وكيف كانت قبله ؟ والجواب: نظام دولة له: عملة، ونظام إداري [اعتمدته] ونظام عدل (المفتي)، وعلاقات خارجية، وبحرية، ورفاهية اقتصادية ...هذه هي الجزائر التي كانت ؟

وهوية الشعب أبرزته الحركة الوطنية في شعاراتها، ومطالبها، وعبر عنها رائد الإصلاح والنهضة الشيخ عبد الحميد بن باديس في نشيده الخالد :" شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب "، وأكدها بيان أول نوفمبر في:" إقامة الدولة الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن المبادئ الإسلامية "، ثم أكدتها مختلف مواثيق الثورة وبياناتها منها بيان الحكومة المؤقتتة في 26 ديسمبر 1958 حيث جاء فيه:" ... والذي أراد (الاستدمار) أن يحرم شعبنا من جنسيته،، وأن يحيده عن مجرى تاريخه وأن يحرمه من وسائل عيشه ".

والشعب الجزائر متعلق بتراثه وهويته ليبني دولة ويسهم في تأسيس حضارة. مرتبط بتراثه الرائع للحضارة العربية الإسلامية، مع التأكيد على انتمائه العربي الإسلامي، فهذا الشعب واحد، والوطن واحد ومن الخطأ الفادح محاولة تقسيمه أو تقزيمه